الأَضداد في كلام العرب

أنطون بشارة قيقانو*

توطئة

تَضُمُّ اللُّغةُ العربيّة بين مطاويها أسرارًا لا يَعْلَمُ كُنْهَهَا إِلَّا مَن اجتلاها، ففيها القلب كَعَكَسَ وكَسَعَ وَسَكَعَ[1]؛ وفيها الإبدال كَأَسْهَلَ، أي نَزَل السَّهْلَ، وَأَسْهَبَ: نَزَلَ السَّهْبَ[2]، وَأَرْبى وأَرْمَى، أي زاد عَلى صاحِبِه[3]، والكَلِيسُ والكَنِيس، لِمَوْضِعِ العِبادَةِ، والْمِلْعَقة والمِعْلَقَة مِنْ لَعَقَ وعَلَقَ؛ وفيها مَعاني الحروف، التي إذا اجتمع منها بَعْضُها في كلمةٍ، بَانَ لِهذهِ الكلمة مدلولُها الخاصّ كالبَوْش والحَوْش والحَوَش لِأَخلاط النَّاس[4]؛ وفيها تَعَدِّي الأَفعال بحرف الجرّ، وكيف أنَّ معنى الفعل يَتَغَيَّر تَمامًا بِتَغْيِيرِ هَذا الحَرْفِ أو ذَاك، كذَهَبَ إِلَيْهِ، أَي تَوَجَّهَ نَحْوَه، وذَهَبَ

(*) باحث في اللغة والتاريخ.

(١) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسيّ، مصر، ١٩٥٨، ١: ١٥٤ و١٥٥، مادّة «عكس».

(٢) كتاب الإبدال لأبي الطيّب اللُّغويّ، تحقيق عزّ الدين التّوخيّ، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ، دمشق، ١٩٦٠، ١: ٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ١: ٣٧.

(٤) قاموس البستان، للشيخ عبدالله البستانيّ، المطبعة الأميركانيّة، بيروت، ١٩٢٧، المجلّد الأوّل، المقدّمة في معاني الحروف.

عَنْهُ، أي وَلَّى[٥]. ومنها الأَضداد - وَهُوَ مَوضوعُ بَحْثِنا - وهي أَنواعٌ عَمِل على بَعْثِها أَئِمَّة اللُّغة، وصَنَّفُوا فيها.

تعريف الأَضداد

الأَضداد، ومفردها الضِدُّ، لُغَةً تَعْني العَكْسَ أَو المُقابَلَ، وعِنْد أَئِمَّة اللُّغة، هو المَقْلُوبُ أَو المَعْكُوسُ مِن كَلام العَرَب، كالمِثْلِ والضِّدِّ في المِثْلِ والنَّظِير والشَّبِيه، وَكُلُّ ما نَافَى - أَي خالَفَ - الأَوَّلُ الثَّاني، كالبَياضِ والسَّوَادِ، والبُخْلِ والكَرَمِ، فجميعُها أَضدادٌ يُنافي بَعْضُها بعضًا[٦].

أَنواع الأَضداد

إِلَّا أَنَّ الأَضدادَ لا تَقْتَصِر على الكلمة ونقيضها - كما مَثَّلْنا - كَقامَ وقَعَدَ، بل تتعدَّاها إِلى الأَفْعالِ عَيْنِها، فهناك أَفْعالٌ في المعلوم أَضدادُها في المجهول، كضَرَبَ في المعلوم أَي هو الذي فعلَ فِعْلَ الضَّرْبِ، وَضُرِبَ في المَجهولِ أَي وقع عليه فِعلُ الضَّرْبِ؛ وأَفعالٌ إِذا ضُعِّفَتْ أَو زِيدَ عليها غدَت نَقيضَ بَعْضِها، كخلَّصَ إِذا أَنْقَذَ أَحدًا، وتخلَّص إِذا هُوَ أَنْقَذ (خلَّص) نفسَه وأَفْلَتَ. (الصَّاغاني)[٧].

وهناك الأَفعال التي تتعدَّى بالحرف بحيث يتغيَّرُ معنى الفِعل عينه بتغيُّر الحرفِ الذِي يتعدَّى بِهِ، فيغدو نقيضَه أَو ضِدَّه، كرَغِبَ فيهِ أَي اهتمَّ

---

(٥) راجع مقدّمة معجم تعدّي الأفعال، دار المُراد، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٣.

(٦) الأضداد في كلام العرب لأبي الطيّب اللُّغويّ، تحقيق عزّة حسن، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ، دمشق، ١٩٦٣، ١: ١.

(٧) ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعيّ والسِّجستانيّ وابن السِّكّيت، نشرها العَلّامة أُوغست هَفنر والأب أنطون صالحاني اليسوعيّ، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٩١٣، ص ٢٤١.

بشأنِه، ورَغِبَ عَنْهُ أي أَعْرَضَ عَنْهُ ومَضى؛ وعادَ إلى فَعِلَتِه، أي رَجَعَ إليها، وعادَ عنها أي أَقْلَعَ[٨].

وهناك - أيضًا - الضِدُّ في الفاعل والمفعول، كالمُخاطِب (بالكَسْرِ) والمُخَاطَب (بالفتح)، والمُؤْتَمِنُ والمُؤْتَمَنُ، وقد نَصَّ على ذلك الصَّاغاني[٩] وأبي الطَّيِّب اللُّغويّ[١٠] في أَضدادِهما.

وهناك الضِدُّ في الألفاظ مِن ذواتِ المَعْنَيَيْنِ، من لفظٍ واحدٍ، كبانَ بمعنى بَعُدَ وغابَ، وبَانَ بمعنى بَرَزَ ولاحَ (مِن بَعيدٍ)؛ والجَلل بمعنى الخَطير والكَبيرِ، والجَلَل بمعنى الحَقِير؛ والمَأْتَم وهو اجتماع الناس لِلْعَزَاءِ أو العُرس؛ والعجوز للطفل والمُسِنّ، لأنَّ كليهما عاجِزٌ؛ والجَزاء للعِقابِ والثَّوابِ. وهذا النَّوع من الأضداد، قد غلَب فيهِ ضِدٌّ على آخرَ وشَاعَ استعمالُه لِمَعنًى من دُون آخر، فالعَجُوزُ مثلًا قد شاع لِلمُسنِّ وليس للطفل، والمأتم شاع لاجتماع الناس للعزاء وتُرك مَعناهُ الثاني[١١]، والجَلل والجليل عُزِف للأمر الخطير، وندر استعماله للأمر الحقير. وهذا النَّوع من الأضداد لا يَعرِفُ المُخاطَب (بالفتح) مِنَ المُخَاطِب (بالكسر) مَعْناهُ وما يرمي إليهِ إلّا من سياق المَعنى وتمام الكلام[١٢].

فكلمة جَلَل الواردة في بيت الحارث بن وعلة الجرميّ:

فَلَئِنْ عَفَوتُ لَأَعْفُوَنْ جَلَلًا ... وَلَئِنْ سَطَوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي
قَوْمي هُمُ قَتَلُوا أُمَيمَ، أَخِي ... فإِنْ رَمَيْتُ يُصِيبُني سَهْمِي

(٨) راجع معجم تعدّي الأفعال، دار المراد، بيروت، ١٩٩٨.
(٩) كتاب الأضداد ضمن كتاب ثلاثة كتب في الأضداد، ص ٢٢٣.
(١٠) الأضداد في كلام العرب، المجلّد الأوّل، حرف الألف، مادّة «الأمين».
(١١) الأضداد في كلام العرب لأبي الطَّيِّب اللُّغويّ، ٢: ٥٣٦.
(١٢) مقدّمة معجم الأضداد، دار المُراد، بيروت، ١٩٩٨.

لا تعني سِوى الأَمرِ الخطير، لأَنَّ المَرْءَ إذا شاءَ أن يَعْفُوَ أو يُسامِحَ، فَإِنَّهُ لا يَعْفُو إِلَّا عن أَمْرٍ خَطيرٍ وليس عن أمرٍ حَقير[١٣].

* * *

سبب تفاوت المَعنى الواحِد في هذه الأَضداد من ذوات المَعنَيَيْنِ من لَفظٍ واحدٍ

ذلكَ بأَنَّ بَعضَ القَبائل العربيَّة قد نَطَقَتْ بِها لِمعْنًى من دُونَ آخَر، فكانَ هذا التَّفاوتُ في مَعنى الكلمة الواحدة، فالسُّدْفَةُ التي تعني مثلًا عند بني تميمٍ الظُّلْمةَ، هي عند بني قيس تعني الضَّوءَ[١٤]، وكلمة إِقراء التي تعني عند أَهل الحجاز الطُّهر، عند أَهل العراق تعني الحَيْض[١٥]، وكلمة جَوْن تعني الأَسودَ والأَبيضَ معًا[١٦].

أَمَّا لِماذا سَمَّتِ العربُ هذه الأَشياءَ بأَسمائِها؟ فذلك لعلَّةٍ كانوا يعلمونها ونحن اليومَ نجهلها[١٧]، لذا كان الشيخ عبدالله البستانيّ - وهو آخرُ لُغَويّي القَرنِ العشرين - يقول إذا سُئِل: «هكَذا نَطَقَتْ بِهِ العَرَبُ» و«هَكَذا سُمِعَ عَنِ العَرَبِ»[١٨].

الأَضداد التي اهتمَّ بجمعها الأَئِمَّةُ

والأَضدادُ التي اهتمَّ بجمعِها وشرحها أَئمَّةُ اللُّغة، هي من ذواتِ

---

(١٣) الأضداد لابن الأنباري، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠، وبيروت - طبعة مصوّرة عن طبعة الكويت - ١٩٨٧، صفحة ٢-٣ و٨٩-٩٠.

(١٤) المزهر للسيوطي، مطبعة محمّد علي صبيح، مصر، بدون تاريخ، ١: ٢٣٠.

(١٥) الأضداد لابن الأنباريّ، ص ٢٧.

(١٦) الأضداد للصّاغاني، ص ٢٢٧.

(١٧) الأضداد لابن الأنباريّ، ص ٧-٨.

(١٨) نقلًا عن والدي وهو من تلاميذه في مدرسة «الحكمة».

المَعْنَيَيْنِ من لفظٍ واحدٍ، وقد رامُوا من وراءِ ذلكَ ما جاءَ لها من نظائرَ في القرآنِ، وما تعنيه، خصوصًا لدى ابن الأنباريّ وأبي الطيِّب اللُّغويّ، في تفسير الآية.

أمَّا الأَضدادُ التي يُنافي (يخالف) بعضُها بعضًا، كالسَّواد والبياض، والجُبْن والشَّجاعة، والبُخل والكرم، والرَّجل والمرأة، والجَمَل والنَّاقة، فأَحْجَموا عن جمعها، وقالوا إنَّها «كثيرةٌ في كلام العربِ، لا يُحاطُ بها» (ابن الأنباريّ)[١٩].

كتب الأضداد

إذا أمعنَ البَاحِثُ في كتبِ الأَضداد، يَتَّضِحُ لهُ أَن ليس في الأَضداد مِمَّا وصلَ إلينا من الأئمَّة، كالأصمعيّ والسِّجستانيّ وابن السِكِّيت والصَّاغاني، كتابٌ كامِلٌ فيها[٢٠]. فالأصمعيّ يبدأُ كتابَه من حرف القاف، والسِّجستانيّ يُورد أَضدادَه خلطَ بلطَ، بلا ترتيب، وأَضدادُ ابن السِكِّيت تكادُ تكونُ روايةً ثانيةً لأَضْداد الأصمعيّ. فلا يوجد أَضدادٌ مرتّبة ترتيبًا أبجديًّا من الألفِ إلى الياء سوى أَضداد الصَّاغاني[٢١]، وكتاب الأَضداد في كلام العرب لأَبي الطيِّب اللُّغويّ[٢٢]، وجميع هؤلاء قد عَمِلُوا أَضدادَهُم على الكلمات من ذوات الضِّدَّين من لَفظٍ واحدٍ.

أمَّا ابن الأنباري فقد صَنَّفَ كِتابًا واسِعًا في الأَضداد[٢٣]، جمع فيه

---

(١٩) راجع مقدّمة معجم الأضداد، دار المراد، بيروت، ١٩٩٨.
(٢٠) ثلاثة كتب في الأضداد، نشرها العلّامة أوغست هَفنر والأب أنطون صالحاني اليسوعيّ، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، ١٩١٣.
(٢١) ثلاثة كتب في الأضداد، صفحة ٢٢٢ وما بعد.
(٢٢) تحقيق عزّة حسن، مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ، دمشق، ١٩٦٣.
(٢٣) تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠، وأُعيد تصويره في بيروت، ١٩٨٧.

- بلا ترتيبٍ - أضداد مَن تقدَّموه في هٰذه الصنعة، وتوسَّع فيه كثيرًا، وقد ضَمَّ ألفاظًا مهجورةً غير مستعملة ولا شائعة، ولم يتعدَّ في تأليفِه مَن سَبقه، فاكتفى بالكلمة ذاتِ الضِّدَّين من لَفْظٍ واحدٍ محتجًّا - كما بيَّنّا أعلاه - أنَّ الكلماتِ المُختلفة اللَّفظِ كالرَّجل والمرأة، والجَمل والنَّاقَة، وقامَ وقَعَد، كثيرةٌ في كلامِ العرَب لا يُحاط بها.

كذلك أبو الطيِّب اللُّغويّ الحلبيّ في كتابِهِ الضَّخم الأَضداد في كلام العرب لم يخرج في مؤلَّفهِ عمَّن تقدَّمَهُ من الأئمَّة في هذا المضمار، سوى أن جمع ما دَوَّنوهُ مِنها في مصنَّفاتهم وأثْبَتَها مرتَّبةً على حروف المعجم، معرِّفًا مَعنى الأضداد بأنَّها «جمع ضِدّ، وضِدُّ كلّ شيءٍ ما نافاهُ»[٢٤] و«هكذا كلُّ ضِدَّين مختلفين»[٢٥] لفظًا ومعنًى كالسَّخاءِ والبُخلِ، والشَّجاعة والجُبْن. أمّا الأضدادُ ذَواتُ المَعْنَيَيْنِ مِن لفظٍ واحدٍ، فقد يَغْلِبُ فيها المَعنى الأوّل على الثاني[٢٦]، ككلمة فَوْقَ مثلًا فهي تعني الأَرْفَعَ والأَدْوَنَ، فيُقالُ زيدٌ فَوْقَ عَمْرٍو نبالةً وَجَلالَةً، أي أَرْفَعُ مِنْهُ، وَفَوْقَ عَمْرٍو خِسَّةً ودَناءَةً، أي أَدْوَنُ مِنْهُ، ولكن فَوْقَ بِمَعْنى الأَرْفَع كانَ الأَغْلَب كَما ذَكَرْنا.

(٢٤) الأضداد في كلام العرب، ١: ١.
(٢٥) المرجع نفسه، ١: ١.
(٢٦) المرجع نفسه، ٢: ٥٣٦.

﴿النَّشِيدُ الْمِئَةُ وَالثَّانِي وَالْخَمْسُونَ﴾

صَوْتُكَ مُوسِيقَى السَّمَاءِ

وَصَوْتِي رَجْعُهَا عَلَى الأَرْضِ

أ. د. إيلي كسرواني(٥)

﴿١﴾ إِلَيْكَ، أَيُّهَا السَّيِّدُ، تَرْنِيمِي. مُنْذُ أَنْشَدْتُكَ فِي دِفْءِ أُمِّي، أَنْتَ انْتِظَارِي. وَإِلَى أَنْ تَسْتَعِيدَنِي رَاحَتَاكَ مِنْ حَشَا الْوُجُودِ إِلَى خُلُودِ الْكَيْنُونَةِ أَنْتَ نَشِيدِي. ﴿٢﴾ تَنَاغَمَ تَرْنِيمِي مَعَ دُعَاءِ إِمَامِ الْغِنَاءِ، دَاوُدَ، عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. وَعَلاَ تَنَهُّدِي بِاسْمِكَ، عَلَى إِمَامِ الغِنَاءِ، دَاوُدَ، عَلَى ذَوَاتِ النَّفْخِ. ﴿٣﴾ ظَلَّلَتْنِي بِرَجْعِ صَوْتِكَ الأَزَلِيِّ فَقَطَرَ نَدَاهُ فِي أَنَاشِيدِي. تَخَضَّبْتُ بِحُبِّكَ الْخَمْرِيِّ أَوْتَارِي فَاعْتَصَرَتِ النَّغَمُ النَّضِيجَ كَالْعُنْقُودِ أَصَابِعِي. ﴿٤﴾ قَطْرُ غِنَائِكَ حُلْوٌ فِي آذَانِي، وَقَدْ أُصِبْتُ بِصَوْتِ حَبِيبِي وَهُوَ يَقُولُهُ بِوَعْدِ الْخَلاَصِ: " أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ...". سِلاَهْ. ﴿٥﴾ أَسْدَلَ سَيِّدُ غِنَائِي غَدَائِرَ انْغَامِهِ عَلَى كَتِفَيَّ فَخَلَبَ فُؤَادِي وَقْعُهَا الْمُنْتَظَمُ عَلَى نَبْضِ قَلْبِ الأُمِّ. ﴿٦﴾ إِنَّ صَوْتَهُ أَلَذُّ مِنْ خَفِيقِ حُنْجُرَةِ الثَّاوِي تَدْفَعُ فِيهِ الحَيَاةَ رِيحٌ طَالِعَةٌ مِنْ شَفَتَيْ وَادِي الإِلْهَامِ الرُّطِيبَةِ، تَسْرِي فِيهِ يَنَابِيعُ لُبْنَانَ وَأَنْهَارُهُ. ﴿٧﴾ أَمَّا الَّذِينَ أَشَاحُوا بِمَسَامِعِهِمْ عَنْ لَحْنِ كَلِمَتِهِ الْكَائِنِ مُنْذُ الْبَدْءِ، فَإِنَّ صَوْتَهُ فِي آذَانِهِمْ لَقَارِعُ كَعَيْنِ اللَّهِ أَمَامَ بَصِيرَةِ قَاتِلِ أَخِيهِ. ﴿٨﴾ أَمَّا أَنَا، وَقَدِ اتَّخَذْتُ حَبِيبًا لِي، كَلِمَتَهُ الْكَائِنَ مُنْذُ الْبَدْءِ، فَقَدْ شَدَّ أَوْتَارِي وَعَدَّلَهَا وَصَارَتْ يَدَايَ تَقْطُرَانِ إِيقَاعًا وَأَنَامِلِي تَجْرِي بِالنَّغَمِ الْعُلْوِيِّ. ﴿٩﴾ تَعْطُرُ تُرَابِي عِنْدَ خَلْقِكَ إِيَّايَ بِلُهَاثِ كَلِمَتِكَ، كَمَا يَفُوحُ بَخُورُ أَرْزٍ مُتَوَقِّدٍ عَلَى طَلْعَةِ لُبْنَانَ. سِلاَهْ. ﴿١٠﴾ هَذَّبْتُ بِالْحَانِكَ عَلَى عُودِ سَاعِدِي وَأَحَلْتُ كُلَّ صُرَاخِ الْبَشَرِ شَدْوًا مُتَعِبًا وَهُتَافًا يُسَبِّحُ بِاسْمِكَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ صَقَلْتَ رِيشَتِي وَرَصَفْتَ عَلَى مَدَارِجِي الْخُمَاسِيَّةِ الأَسْطُرِ، الْكَوَاكِبَ الْمُذَيَّلَةَ بِالشُّهُبِ، تَرْنِيمًا مُتَلأْلِئًا وَسِهَامًا تُصِيبُ بِالطَّرَبِ الْبَابَ أَتْرَابِي. ﴿١١﴾ تَبَارَكَ الرَّبُّ الَّذِي يَفْقَهُ مَا تُنْشِدُ لَهُ طَيْرُ السَّمَاءِ. تَبَارَكَ الرَّبُّ الَّذِي يُدْرِكُ مَا تَنْوِي قَوْلَهُ الْكِنَّارَةُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْبِضَ أَوْتَارُهَا. تَبَارَكَ الْخَالِقُ الَّذِي جَعَلَ الأَرْضَ تَضُجُّ وَتَمِيلُ عَلَى نَغَمِ مُوسِيقَى السَّمَاءِ.

(٥) باحث وأستاذ جامعي. مؤلّف موسيقي.

من منشورات دار المشرق